الاشجار الخشبية في مصر

قد تأخذ الدهشة القارئ الكريم إذا عرف بان مصر كغيرها من ممالك العالم كانت ملآي بالغابات . والغابة المتحجرة التي في سفح تلال المقطم دليل على ان الارض كانت مغطاة باشجار ضخمة قد اندثرت وتحول النسيج الخشبي الى مادة غير آلية هي في المعتاد مركب جيلاتيني من السليكون والجير .

وخلو البلاد الآن من الغابات يرجع الى عمل الانسان مع الحيوانات الاليفة فهم أكبر عامل على أنقراض الغابات

ونقلا عن المستر (فلوير) إن جميع وديان مصر وساحات كثيرة فيها كانت ملأى بالاشجار قبل الفتح الاسلامي وأن هذه المساحات تحولت الى صحاري بفعل قطعان الغنم والابل . ولاشك ان ذلك من أثر المعارك الحربية . ولدينا البرهان على ذلك في الحرب الحالية ولكن أذا كان للحرب يد في أنقراض الغابات فأن اكبر اللوم يقع على جهل الانسان وخموله وقت السلم وسوء تصرف الحكومات في مختلف الأجيال .

واننا ننقل العبارة الآتية من تقرير رفعه (بن ماتي) رئيس مصلحة الغابات في مصر الى السلطان الكامل . وذلك في أواخر القرن السادس عشر قال ما معناه أن الغابات الواسعة بقليوب وبهنسه وأخميم يجب تخصيصها للاصلاحات التي يتطلبها الاسطول العظيم الشان . وأني بكل تواضع أشكو

بشدة لجلالتكم من حكام أشمون وقوص لأهمالهما الفظيع الغابات التى من عهدتهما .

وقد وجدت اللجنة التى أرسلت للتحقيق فى بهنسه ان ١٣٠٠٠ فدانا من اشجار السنط أضيفت بدون وجه حق الى الاقطاعيين عند مساحة أملاك السلطان

أما بذور الفرض التى تجمعت من أشجار الحكومة فقد صدرت الي الممالك الغربية وخصوصا لجمهورية البندقية لما لها من الاهمية فى الصباغة وقد بيعت بسعر سبعين دينارا لكل مائة اردب »

ويظهر من هذا التقرير ان مقدار الخشب الذي كانت تنتجه البلاد في هذا الوقت كان اكبر مما يكفى لعمارة السفن الحربية وانشاء العمارة التجارية وبناء العدد الكبير من الهوارب النيلية التى كانت الوسيلة الوحيدة للنقل في مصر والسودان .

وفى الوقت ذاته كتب والى الوجه البحري الى هذا السلطان يقول مامعناه

أما عن غابات قليوب فان عمال الغابات كادوا ينتهون من مساحتها وأني أقترح ان تسن الحكومة قانونا يحرم قطع أكثر من ثلث الاشجار رفعة واحدة وباتخاذ هذه الاحتياطات فى ضواحى القاهرة ازداد ثمن الاخشاب الناتجة من السنط والاثل عن مائة ألف دينار»

وجاء في هذا التقرير مايأتى ، —

عملا بأمر جلالتكم في وقاية الاشجار ولو كانت ملكا للافراد قد أصدرت التعليمات الى ابن مسعود حاكم قليوب ان لا يسمح لملاك ما ان يقطع شجرة

الا اذا أثبت بشهادة شاهدين انه يستطيع تعويضها بشجرة اخرى وانه مضطر الى قطعها »

وقد ثبت هذا التقرير — وقد مضى عليه ماينوف عن الاربعمائة عاما — ان الغابات كانت تشغل مساحات واسعة في مصر ، وان العناية بها كانت عظيمة مما استدعى انشاء مصلحة حكومية لها واصدار القوانين لصيانتها واستقلالها ، وتدل مثل هذه القوانين على درجة العلم ونظام الحكم في ذلك الوقت

وقد أصبحت الغابات اليوم ولها علم يرمى الى البحث وتطبيق النظريات التى تتضمن انماء اكبر مقدار من الخشب

وزراعة الغابات فى مصر من الوجهة الاقتصادية — كما يتضح من القطعة التاريخية التى اوردناها — شغلت افكار بعض كبار الحكام عندنا من عهد بعيد ، ولاقت اهتمام الهيئات التعليمية والتجارية . ولكن نتائج ذلك لم تذهب بنا الى أبعد من وضع الحجر الاول فى البناء ، واننا اليوم فى الحقيقة فى مؤخرة كثير من الامم التي تعتنى بصيانة ماعندها من الغابات

وقد انشئت فى الهند مصلحة للغابات نراها اليوم على احسن حال : وبدأت على يد السير ديتريش برانذس سنة ١٨٥٦ . وقد تقدمت بحسن مساعيه فلم يمض ثمانية سنين الا وهى هيئة هامة تتناول اعمالها مائتى الف ميل مربع من الغابات ودخلها نحو ستمائة الف جنيه سنويا

وفى البلجيكا حيث الاعمال تتبع النظام العلمى يوجد مليون وسبعمائة وخمسين الف فدان يبلغ دخلها سبعة ملايين جنيها فى العام

ومن الحقائق الثابتة ان الكثير من الغابات التى يعتمد العالم على اخشابها

اخذت مساحتها تتناقص وقد قدر المسيو ميلارد مفتش الغابات فى فرنسا وقوع مجاعة خشبية وفحمية قبل مضى خمسين عاما وهذا من أهم الاسباب التي تدعو البلاد ان تعجل فى اتخاذ الاحتياطات الكفيلة بتوفير حاجياتها من الاخشاب . فى بلادها وغابات مصر كما تظهر من التاريخ كان جلها من السنط والنخيل والجميز والتوت البلدى والعبل أو الاثل وأشجار الزيتون والمخيط وهناك عدة أنواع اخرى قد ادخلت الى القطر فى أوقات مختلفة

ومن العبث ان نحاول وضع بيان عن الاشجار الموافقة لمصر يكون أوفى من الكشف الذى عمله المستر براون فان فيه الكفاية لهذا فاننا نحيل القارئ اليه (النشرة الحادية عشر من نشرات قسم البساتين التابع لوزارة الزراعة)

ويرشدنا هذا البيان الى الانواع المباينة التى نستطيع استخدامها للاغراض المختلفة التى نرى اليها فى التوسع فى زراعة الاشجار خصوصا اذا اهتممنا بالاراضى المستطيلة التى على امتداد السكك الحديدية والترع العديدة والمساحات الواسعة من الارض الملحة والرملية التي فى وادى النيل أو بالقرب من الوادى

وأشجار الخشب بوجه عام لاتحتاج الي ارض خصبة فان نسيج الخشب جله من الجليلوز وهذا نوع من الكربوادرات يتكون فى النبات بتمثيل ثاني اكسيد الكربون من الهواء واتحاده مع ماء الرى وهذا خلاف حال النباتات الصغيرة التى تستعمل فى الغذاء فان الاخيرة تحتاج الى الارض الخصبة التى تمدها بالغذاء الضرورى لاتمام حلقة حياتها في وقت قصير ويتضح من ذلك ان اشجار الغابات تستنفد من الارض

مواد غذائية أقل مما تستنفده الحاصلات الزراعية وزنا بوزن ولهذا السبب وغيره يمكن زراعة الاشجار عاما بعد عام فى ارض واحدة لمدة طويلة

واراضى الغابات تحفظ الرطوبة . ولتساقط الاوراق بكثرة تساعد الاشجار فى تماسك التربة الخفيفة وتفكيك التربة الثقيلة

وقد وضعت وزارة الاشغال منذ بضعة أعوام مشروعا يرمى الى زراعة أشجار الكافور على امتداد الترع والسكة الحديدية وكان الامل من هذا المشروع ان الخشب الناتج من هذه الاشجار يغنى البلاد عن الفحم وخشب الوقود الذى يستورد من الخارج . وبلغ ثمنه مليونى جنيه قبل الحرب بثلاثة أعوام

ومما هو جدير بالذكر ان خشب الكافور له من درجة الحرارة ما يقرب مما للفحم اذا كان للاحجام المتساوية منها أوزانا متساوية

وتزرع الاشجار عادة في قطع مستطيلة لوقاية المزروعات من الرياح الباردة أو الحارة أو هبوب الرمال كما تزرع لوقاية العزب المعرضة لهذه الرياح

وعلاوة على كسب زراعة الغابات في حد ذاتها فان كثيرا من الصناعات الثانوية توجد فى المناطق التى يعم فيها زراعة الغابات مما يشغل عدة ايدي فى البلاد الريفية

ومن أشد حاجيات مصر توظيف راس مال فى مثل هذا العمل فان هذا المال يعود بربح وافر ويوجد عملا لسكان الجهات القاحلة ومواد خام لعدة صناعات لا وجود لها بغير ذلك كصناعة الآلات الخشبية وغيرها وصناعة الكراسى وعمل المواد الكيمائية وعمل الورق من بعض النباتات المخروطية وخشب الحور وقد جاء في بعض الاحصائيات ان الامة التى

عددها عشرة ملايين شخصا تحتاج فى المتوسط الى ورق يصنع من غابة مساحتها فى المتوسط عشرة أفدنة

وعلاوة على فائدة الاشجار في انتاج أخشاب الوقود وغيرها فان لها تأثيرا مفيداً كما قدمنا في التربة وتوزيع العمل والطقس والصحة . وما الغابة الاأسفنجة كبيرة تمتص من الارض الماء ثم تخرجه تدريجيا وبانتظام وبهذا تنظم الطقس فتنخفض درجة حرارة الهواء والارض قليلا فى الصيف وترتفع في الشتاء

وتأثير الغابات فى تدبير الهواء والارض صيفاً محسوس جداً فان الهواء تزداد كثافته لنقص حاصته فى التمدد ولهذا السبب فان البالونات اذا جاءت فوق غابة هبطت دفعة واحدة لانخفاض درجة حرارة الهواء فوق أشجار الغابة وهناك دائما بعض الصلة بين درجة الحرارة والتبخير . والغابات كما لايخفى تبخر ماءاً أكثر من النباتات الاخري وقد وجد أن غابة بالقرب من فينا تبخر فيها أوراق الاشجار يومياً نحو ٢٥٠٠ جالوناً من الماء عن الفدان الواحد وهو يعادل ١٨ بوصه من الامطار لمدة خمسة اشهر من حياة المزروعات وهذا يظهر مقدار الرطوبة التى تذهب الى الهواء بتأثير الغابات ومنه يتضح بسهولة فعل هذه الغابات في زيادة الامطار وقد ثبت في جميع الممالك ان اتساع الزراعة يقابله زيادة الامطار .

وقد ظهر من تجارب حديثة ان كمية كبيرة من الاوزت توجد فى جو الغابات ولكن مازال هناك شك اذا كان لهذا القدر تأثير مطهر أم لا لأن المقدار اللازم لقتل البكتيريا الضارة يكون مهيجا جدا للرئتين ويوجد أيضا فى جو الغابات اكسيد الهيدروجين ولكن هناك صعوبة

كبيرة لتبين هـذا الغاز من الازوت بتأثيره . وأهمية الغابات من الوجهة الصحية ترجع أصلا الى نقاوة الهواء فان الدخان والغبار والغازات الضارة والبكتيريا التي توجـد فى جو المدن لا وجود لها أو هى نادرة فـي جو الغابات فان الميكروبات تتصاعد من التربة العادية الى الهواء عند جفاف طبقاتها العليـا والغبار يتكون وينتقل بتأثير الرياح أما فى الغابات فالهواء أقل حركة وأقل احتواء للميكروبات نحو ٢٣ أو ٢٨ مرة كما يقول المستر سرافيني

وقد ثبت بما لا يقبل الريبة ان الجهات التى بها غابات تصلح جدا كمواقع صحية للاستشفاء وللناقهين وتعتبر اهميـة الغابات للارياف كأهمية الحدائق والمتنزهات للمدن . وكان للغابات منذ بضع سنين اكبر اثر فى مقاومة الملاريا بجهة الاسماعيلية ومنطقة قنال السويس

وانى في الختام استلفت الانظار الى تأثير الغابات على اخلاق الشعوب لتشغيلها ايدى عاطلة وبتأثيرها فى حسن الذوق

علي شمس الدين